64

قصص الأنبياء

محمد

(صلى الله عليه وسلم) (8)

الوحي والرسالة

بقلم: د. عبد الحميد عبد المقصود

رسوم: أ. عبد الشافي سيد

إشراف: أ. حمدي مصطفى

هبط الملاك جبريل ـ عليه السلام ـ على النبى محمد ﷺ ، وهو معتكف فى غار حراء فى شهر رمضان المبارك ، وأمره أن يقرأ باسم ربه الذى خلق ..

فلمّا قرأها النبى بعدهُ ، انصرف جبريل ـ عليه السلامُ ـ تاركًا النبى ﷺ وهو يرتجفُ من البرد ، ويتصبب منه العرقُ بغزارة . .

وأسرع رسول الله ﷺ يغادر الغار وهو أشدُّ حيرة وخوفًا . ، وراح يسألُ نفسهُ عن هذا الذى رآهُ وسمعهُ . . هل هذا اتصالٌ بعالم الجنّ والكهانة ؟!

لقدْ خشى الرسول ﷺ على نفسه ، ولذلك أسرع قاصدًا بيتهُ . .

فلمّا دخل على زوجته خديجة (رضى الله عنها) ، قال لها :

«زمّلونى . . زمّلونى» أى غطّونى . . غطّونى . .

فأخذت السيدةُ خديجةُ (رضى الله عنها) تُلقى عليه بالأغطية الثقيلة ، وتجففُ عنه العرق ، وهى تبدى خوفها عليه ، وتسألهُ عما حدث له . . فقص النبىُّ ﷺ ما حدث له فى الغار ، وختم كلامهُ لها بقوله :

«لقدْ خشيتُ على نفسى» . .

تملكت الحيرةُ قلب السيدة خديجة مما سمعت ، برغم أنها رأت فيما سمعته بشارة طيبة لزوجها ﷺ ، ولذلك طمأنته بقولها :

ـ أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدا .. إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل (المتعب) وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الدهر ..

وبرغم هذه الكلمات الطيبة المطمئنة ، فإن القلق لم يزايل قلب رسول الله ﷺ .. فأخذته السيدة خديجة (رضى الله عنها) وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل .. وكان ورقة قد اعتنق النصرانية قبل ظهور الإسلام ، وقرأ التوراة والإنجيل باللغة العبريه ، وعلم من بشارات الأنبياء السابقين أن نبيا من العرب سيبعث ، وأن زمان بعثته قد جاء .. وكان ورقة يترقب ظهور هذا النبى ..

فلما قص رسول الله ﷺ على ورقة ما رآه وما سمعه

فى الْغارِ ، أضاءَ وجهُ ورقةَ بالْبُشْرى وقال :

ـ والذى نفسى بيده إنك لنبىُّ هذه الأُمّة ، ولقدْ جاءكَ النّاموسُ الأكبر ، الذى كان يأتى موسى .. فاطمأنّ قلبُ رسول الله ﷺ ..

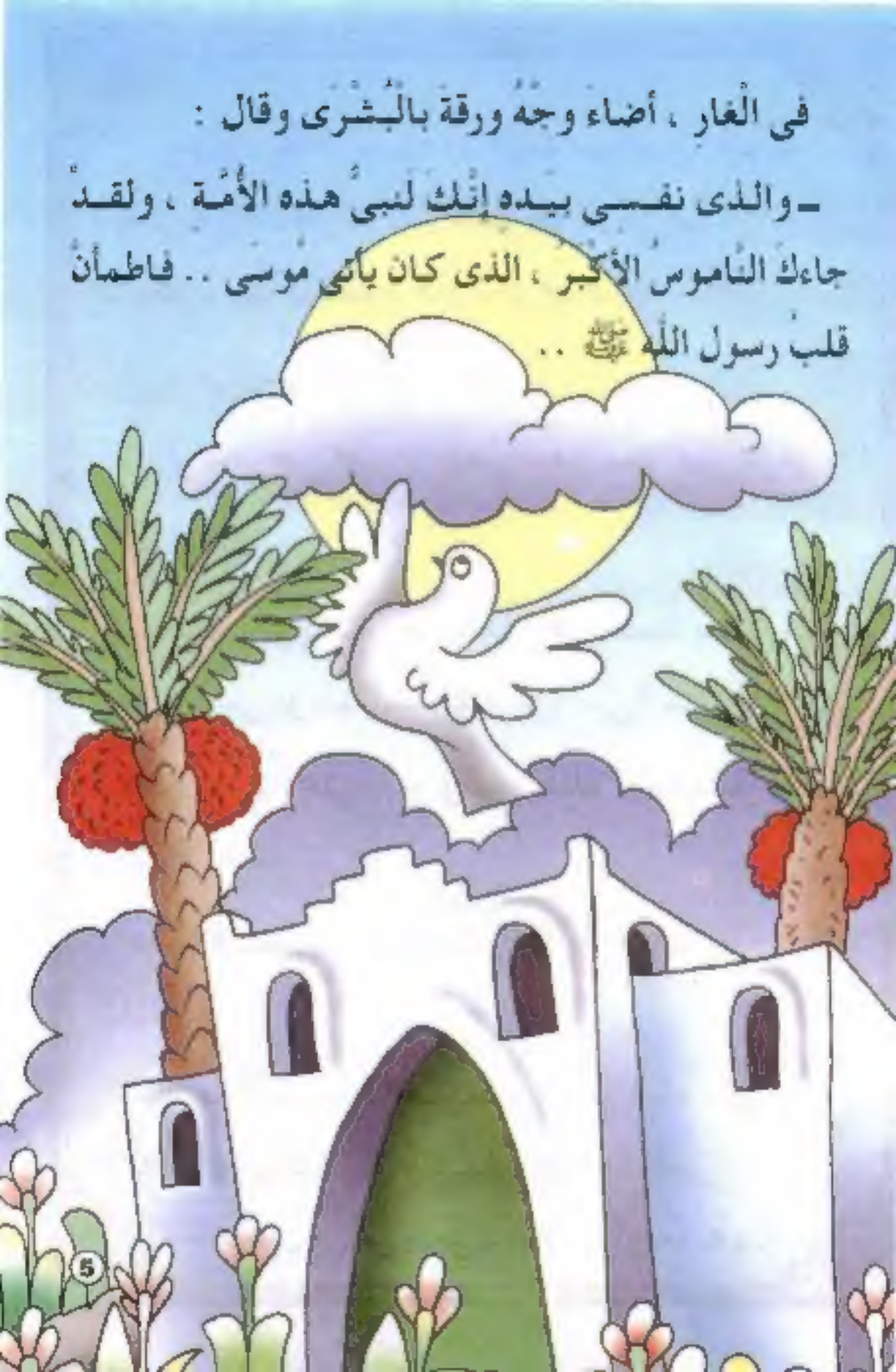

وعاد ورقةُ ليُخبره أن قومه سوف يكذبونه ويؤذونه ويقاتلونه ، ثم يخرجونه من مكة .. وتمنى أن يكون حيًا لينصره حين يخرجه قومه ..

فتساءل رسول الله ﷺ قائلا :

- «أو مخرجي هم ؟!» يعني وهل يخرجني قومي ؟!

فقال ورقة :

- نعم .. لم يأت رجلٌ بمثل ما جئت به إلا عُودى وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ..

ومال ورقةُ على رأس رسول الله ﷺ فقبّله تكريما وإجلالا له ..

هكذا قُضي الأمرُ وبعث اللهُ محمدا ﷺ رسولا للعالمين ..

وبادرت السيدةُ خديجةُ (رضي اللهُ عنها) إلى الإيمان برسول الله ﷺ ، فصدّقت بما جاء به من الله تعالى ، فكانت أول من آمن به من النساء .. وآزرته ونصرته ،

فخفف الله تعالى بها عن نبيه ﷺ ما كان يلاقيه من أذى الكفار والمشركين وتكذيبهم له .. فكانت (رضى الله عنها) تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه فيما كذبوه وتهون عليه ..

ولذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يبشر خديجة ببيت من اللؤلؤ فى الجنة .. قال رسول الله ﷺ :

«أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب» ..

وأخذ رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام سراً ، بين أقاربه وأصدقائه المقربين وأهل بيته ، لأن الله تعالى لم يكن قد أمره أن يجهر بالدعوة بعد .. فآمن به على ابن أبى طالب وكان عمره وقتها عشر سنوات ، وهو ابن عم النبى ﷺ ، وكان يعيش مع رسول الله ﷺ ..

وسبب ذلك أن أبا طالب والد على كان ذا عيال كثيرين ، وكان فقيراً .. وقبل بعثة النبى ﷺ أصابت قريشاً أزمة شديدة فعانى أبو طالب فى إطعام أبنائه ،

فأراد النبيُّ ﷺ أنْ يخفِّف عنْه ، فأخذ ابنه عليًا ليعيش معهُ ، حتى تنجلي الأزمةُ ، وظلَّ عليٌّ مع رسول الله ﷺ ، حتى بعثهُ الله تعالى برسالة الإسْلام ، فآمن به وصدَّقه واتَّبعه ..

وأسلم مع رسُول الله زيدُ بن حارثة ، وكان قبل الإسلام يدعى زيد بن محمد .. وسبب تسميته بزيد بن محمد ، أنَّ حكيم بن حزام بن خويلد ، كانَ قد جاء من الشام ومعه عددٌ من الرقيق ، ومن بينهم زيد ابنُ حارثة ، فدخلت السيدةُ خديجةُ (رضي الله عنها) على ابن أخيها حكيم ، وهي متزوجةٌ من رسول الله ﷺ فقال لها حكيم :

ـ يا عمةُ ، اختاري من شئت من هؤلاء الغلمان ، فهو لك ..

فاختارت زيدًا ، وأخذته إلى بيتها ، فلما رآهُ رسولُ الله ﷺ ، استوهبه منها فوهبته له ، فأعتقهُ رسولُ الله ﷺ وتبنّاه ، وكانَ حارثةُ والدُ زيد قد حزنَ حزنًا

شديداً لضياع ولده ، وبحث عنه ، حتى علم أنه عند النبى ﷺ ، فذهب إليه ليأخذه ، فقال له رسولُ الله ﷺ :

ـ «إنْ شئتَ فأقمْ عندى ، وإنْ شئتَ فانطلق مع أبيك» ..

فاختار زيدٌ أنْ يُقيم مع رسول الله ﷺ ، حتى اكرمه اللهُ تعالى بالإسلام .. فلما أبطلَ اللهُ عادةَ التبنى ، قالَ زيدٌ : أنا زيدُ بنُ حارثة ..

وكان أولُ من أسلم من الرجال مع رسول الله ﷺ صديقُهُ أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، لما دعاهُ رسول الله ﷺ صدقَهُ وأسلم معهُ ، ولذلك سُمى الصديق ..

وكان أبوبكر رجلاً محبوباً من قومه ، وكان أعلم قُريش بأنسابها ، وكان على خُلُقٍ كريم ، ويعمل بالتجارة ، فكان قومه من قريش يأتونه لعلمه وتجارته ، وحسن مجالسته ، فلما أكرمهُ اللهُ بالإسلام ، أخذ يدعو إلى الله ، وإلى الإسلام من يثق به من قومه ، فأسلم على يديه عثمانُ بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبدُ الرحمن بن عوف ، وسعدُ بن أبى وقاص ، وطلحةُ بن عُبيد الله ، ذهب بهم أبو بكر (رضى الله عنه) إلى رسول الله ﷺ ، فأسلموا وصلوا مع الرسول ﷺ .. وهؤلاء الثمانية هم الذين سبقوا الناس إلى الإسلام ..

واستمر رسولُ الله ﷺ يدعو إلى الإسلام سراً ، فأسلم معه أبو عبيدة بن الجراح ، وأبو سلمة ، والأرقم بن أبى الأرقم ، وعثمانُ بن مظعون ،

وأخواه قُدامة وعبدُ الله ابنا مظعون ، وعبيدة ابن الحرث ، وسعيدُ بن زيد وزوجته فاطمةُ بنتُ الخطاب ، أختُ عمر بن الخطاب ، وأسماء بنتُ أبي بكر و عائشةُ بنتُ أبي بكر ، وهي يومئذ صغيرةٌ وخبابُ بن الأرت واخرون . رضي الله عنهم جميعا ..

لمدة ثلاث سنوات كان رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام سرا . ويصلي بأصحابه سرا ، ويتلو عليهم القرآن ، ويعلمهم أمور دينهم سرا

فلما كثر عدد المسلمين وعلم كفار مكة عما يفعله النبيّ وأصحابه ، أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يجهر بالدعوة ، وأن يبادر إلى دعوة عشيرته الأقربين من الكفار إلى الدخول في الإسلام .

قال تعالى :

« وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك

من المؤمنين ، فإن عصوك ، فقل إني برىء مما تعملون » .. وقبل الجهر بالدعوة كان أصحاب النبي ﷺ إذا حان وقت الصلاة ذهبوا إلى شعاب الجبال خارج مكة ، واستخفوا بصلاتهم عن الكفار ..

وذات يوم كان سعد بن أبي وقاص يصلي مع مجموعة من الصحابة في شعب من شعاب مكة ، فظهر عليهم جماعة من المشركين ، وراحوا يعيبون عليهم ما يصنعون ، حتى اشتبكوا معهم في قتال ، فضرب سعد بن أبي وقاص رجلا من المشركين بعظم بعير فشج رأسه ، وكان ذلك أول دم أريق في الإسلام ..

وجاهر رسول الله ﷺ بالدعوة ، فدعا الكفار والمشركين إلى الدخول في الإسلام ، وخاصة صناديد قريش ورؤساؤها من أعمامه وأقاربه .. فلم يؤمنوا به ، أو يصدقوا برسالته .. بل كابروا وعاندوا واستمروا على كفرهم ، إلا نفر قليل من الفقراء والضعفاء ،

كانوا يخفون إسلامهم ..

ولم يكتف الكفار بذلك ، بل أعلنوا عداوتهم لرسول الله ﷺ ، خاصة عندما عاب آلهتهم من التماثيل ، التي لا تضر ولا تنفع ..

وكان أبو طالب عم النبي ﷺ هو الذي يعطف عليه ، ويمنع عنه أذى الكفار ، برغم أنه قد استمر على شركه ، ورفض أن يدخل في دين الإسلام ، وبرغم أن الرسول ﷺ كان يدعوه إلى الإسلام دائما ..

قال الرسول ﷺ يوما لعمه أبي طالب :

ـ «أي عم ، هذا دين الله ، ودين ملائكته ورسله ، ودين أبينا إبراهيم .. بعثني الله به رسولا إلى العباد ، وأنت أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجابني إليه ، وأعانني عليه » ..

فقال أبو طالب :

ـ أي ابن أخي ، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي ،

وما كانوا عليه ، ولكن لا يُخْلَصُ إليكَ بشيءٍ تكرهُهُ ما بقيتُ ..

(أي لن يصلَ إليكَ أحدٌ بأذى وأنا حيٌّ ، بل سأُدافعُ عنك) ..

(يتبع)

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/٤٤٣٩
الترقيم الدولي : ٠ ـ ٩٤٤ ـ ٢٦٩ ـ ٩٧٧

قصص الأنبياء • الكتاب التالي •

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(٩)

عداوة قريش للنبي

احرص على اقتنائه